

دلالة (أو) العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني

The Significance of the coordinator (or) in confirming the
occurrence of what comes before and what follows
in the context of the Quraan

إعدادُ:

د. علي عبد الكريم شهوان

الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

المستخلص

يُعنى البحث بدراسة واحدة من الدلالات التي سبق إليها القرآن الكريم لحرف العطف: (أو)، وهي تأكيد وقوع ما قبل (أو) وعدم وقوع ما بعدها، وأظهرت الدراسة الحكم المترتبة على هذا المعنى بعد أن بيّنت معنى العطف لغة واصطلاحاً، وتحدّثت عن أبرز معاني ودلالات (أو) التي ذكرها علماء النحو والتفسير.

وقد وقّفت الدراسة على مواضع في القرآن الكريم تنطبق عليها دلالة تأكيد وقوع ما قبل (أو) دون ما بعدها ضمن السياق القرآني.
الكلمات المفتاحية:

دلالة، (أو) العاطفة، السياق القرآني، تأكيد وقوع ما قبل (أو)، معنى العطف.

Abstract

The study examines one of the signs that preceded the Quran to "or" the coordinator, which is the confirmation of the occurrence of (or) and the absence of the aftermath, and the study showed the sentence resulting from this meaning after proving the meaning of coordinator, and focused on the most significant meanings of "or" the coordinator mentioned by theological and interpretive scholars.

The study has focused on some points in the Quran that apply to the confirmation of the occurrence of "or" the coordinator without what is beyond the context of the Quran.

Keywords

Signs, "or: the coordinator, context of the Qur'an, confirmation of the occurrence of pre-"or" the coordinator, the meaning of coordinator.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد حظي القرآن الكريم بعناية فائقة من قِبَل علماء المسلمين، ورغم عَظْم ما قدّموه جيلاً بعد جيل، يبقى القرآن الكريم غزير العطاء، مُتَزاحم الأفكار، مُتَجَدِّد المعاني، يُبهرنا بأنواره وِحْكَمِهِ وأحكامه.

وإضافة إلى كَوْن القرآن الكريم حَفِظَ علوماً كثيرة، فقد ساهم أيضاً في الكشف عن علوم أخرى، وكان الحَكْم عليها لا المِخْتَكِم إليها، كيف لا وهو كلام العليم الخبير الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).

وبتطواف سريع في الأزمنة التي واكبت امتداد الإسلام؛ يظهر جلياً أن القرآن الكريم كان الأسبق في مواكبتها، بل وتحفيزها، والنهوض بها، ولعل من مُعْجَراته العظيمة وكلها كذلك، أن ما قدّمه عبر الأزمنة والعصور بقي محافظاً على إعجازه وإبهاره في جميع مُتَعَلِّقاته، فلم يُخْبُ نوره، ولم تنته صلاحيته.

ولعل وجود القرآن فينا كان السبب الأوحيد في بقاء اللغة العربية محفوظة أمام التدافع الشديد الذي يسعى لدفعها إلى الاندثار أو الضياع أو التراجع والضعف، وأمام الهجمات التي لا تفتّر رغم تكسُّرها أمامه واحدة تلو الأخرى.

وإذا أُقيم الحديث عن القرآن وإعجازه، فإن أول ما يقفز إلى الأذهان إعجازه البياني، فهو الذي وَقَعَ فيه التحدي، وبقي بابه مفتوحاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي الوقت نفسه يبقى بعيداً عن المعارضة، ما جعل العلماء يقفون مستصغرين أنفسهم أمامه، مُظْهِرين ضعفهم، طالبين القوة منه، فأخذوا يتدارسونه ليرتفعوا برفَعته، وهذا وَعَدَ اللهُ تعالى لمن أقبل على كتابه.

ويأتي هذا البحث ليحاول الكشف عن واحدٍ من أسرارٍ كثيرة وعظيمة استودعها الله كتابه العزيز، وليس من مبالغة القول أن يكون استعمال القرآن الكريم لحرف العطف: (أو) ضمن سياق معين ورد فيه للدلالة على تأكيد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها، أحد مظاهر إعجاز القرآن الكريم التي سَبَقَ إليها، بل وربما تفرَّدَ بها.

ثم يكشف تدبُّر النصوص التي تنطبق عليها القاعدة في دلالة (أو) هذه عن حِكْمٍ جليلة وراء

إيراد ما لا يقع تحققه بعدها في أعلى مستويات الإبحار المعجز.

وقد وفقت الدراسة على مواضع في القرآن الكريم تنطبق عليها دلالة تأكيد وقوع ما قبل (أو) دون ما بعدها ضمن السياق القرآني ووقفاً اجتهادياً يفيد التمثيل لا الحصر، فأمر التدبر أمرٌ اجتهادي يقبل أن يُضاف عليه.

ولتواصل الأفكار وإيصال الفكرة، فقد تحدّثت الدراسة عن المعنى الإجمالي للآية أولاً، ثم عن دلالة (أو) حسب القاعدة التي قامت عليها الدراسة في المواضع التي شملتها.

الدراسات السابقة:

ورغم محاولات البحث الجادة في كُتُب التفسير واللغة إلا أنني لم أجد من سبّغني إلى الكتابة في هذا الموضوع، وعلماً أن كتب النحو واللغة وحتى التفسير لا تكاد تخلو من ذكرٍ معاني حروف العطف ودلالاتها؛ إلا أنها لم تأتِ على دلالة أن (أو) قد تأتي ضمن سياق معين لتؤكد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها.

ومن أبرز الدراسات التي تناولت الحديث عن دلالات حرف العطف (أو) ما يأتي:

- بحث للدكتور حيدر فخري ميزان، بعنوان: "دلالة أو العاطفة في النحو العربي"، جامعة بابل، كلية الدراسات القرآنية، ٦/١/٢٠١١م، وعلى الرغم من توسُّع الباحث في دلالات (أو) إلا أنه لم يتطرَّق أبداً لدلالة تأكيد وقوع ما قبل (أو) العاطفة وعدم وقوع ما بعدها.

- عضيمة، محمد عبد الخالق، (ت: ١٤٠٤هـ)، في كتابه: "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، وعلى الرغم من روعة هذا الكتاب من حيث الجمع والأسلوب؛ إلا أنه لم يتناول البتة أن من دلالات أو في القرآن الكريم تأكيد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها.

وعليه فقد يكون هذا البحث مدخلاً جديداً يضاف إلى الدراسات القرآنية واللغوية في إضافة دلالة جديدة لحرف العطف (أو).

مشكلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- هل تفق معاني الحروف ودلالاتها عند ما ذكره العلماء السابقون فقط؟
- ما إمكانية إضافة دلالات إلى ما ذكره العلماء في معاني الحروف ودلالاتها؟
- ما مدى إمكان الاستفادة من القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية وأساليبها البيانية؟
- هل يمكن تطبيق قاعدة (أو) في تأكيد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها على كلام البشر شعراً ونثراً؟

أهداف الدراسة:

يمكن إجمال أبرز أهداف الدراسة فيما يلي:

- (١) تنوير العقول لاستخراج حكم القرآن الكريم من خلال أساليبه البيانية المعجزة والمتعددة.
- (٢) الاستفادة من أساليب القرآن الكريم البيانية للوصول إلى كمال العبارة.
- (٣) التعرف على دلالة جديدة لحرف العطف: (أو) سبق القرآن الكريم إليها.
- (٤) تسليط الضوء على أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، وأنه يُبهرنا دائماً في تجلده، وغزارة معانيه، وتعدد أساليبه.
- (٥) استخراج حكم إضافية للنصوص القرآنية التي وردت فيها (أو) للدلالة على تحقق وقوع ما قبلها، وعدم وتحقيق وقوع ما بعدها.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج العلمي القائم على:

- (١) المنهج الاستقرائي: وهذا تطلب استقراء النصوص القرآنية التي ورد فيها حرف العطف: (أو)، والرجوع إلى أقوال المفسرين في دلالاته ضمن السياق الذي ورد فيه، وكذلك استقراء أمهات كتب النحو والبيان التي عُنيّت بدراسة معاني الحروف ودلالاتها.
- (٢) المنهج التحليلي: وذلك بالدراسة التحليلية لما تم جمعه.
- (٣) المنهج الاستنباطي: وذلك باستخلاص النتائج بعد تحليلها، وتسجيلها حسب ما يقتضيه منهج البحث العلمي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة، وتشتمل على: الدراسات السابقة، ومشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

المبحث الأول: معاني حرف العطف (أو) في اللغة العربية والقرآن الكريم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى العطف.

المطلب الثاني: دلالات (أو).

المبحث الثاني: المواضع التي وردت فيها (أو) تؤكد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها. وفيه

خمسة مطالب:

المطلب الأول: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾.

المطلب الثاني: ﴿ أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾.

المطلب الثالث: ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾ ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾.

المطلب الرابع: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾

﴿ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ﴿ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾.

المطلب الخامس: ﴿ أَبْلُغْ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِ حُقُبًا ﴾.

الخاتمة، وفيها النتائج والتوصيات.

قائمة المراجع، وهي مرتبة حسب ما يقتضيه منهج البحث العلمي.

محتويات البحث.

المبحث الأول: معاني حرف العطف (أو) في اللغة العربية والقرآن الكريم

المطلب الأول: معنى العطف:

أولاً: معنى العطف لغة:

قال ابن فارس: "العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على انثناء وعياج. يقال: عطفت الشيء، إذا أملتته. وانعطف، إذا انعاج. ومصدر عطف العطوف. وتعطف بالرحمة تعطفاً. وعطف الله تعالى فلاناً على فلان عطفاً. والرجل يعطف الوسادة: يثنيها، عطفاً، إذا ارتفق بها. قال لبيد:

ومجود من صبابات الكرى عاطف النمرق صدق المبتذل

ويقال للجانبين: العطفان، سمياً بذلك؛ لأن الإنسان يميل عليهما، ألا ترى أنهم يقولون: ثني عطفه، إذا أعرض عنك وجفاك." (١).

ويمكن إجمال المعاني المتفرعة عن الأصل اللغوي التي ذكرها أهل اللغة لمادة: (عطف) لغة

فيما يأتي:

- عَطَفَ العُصْنَ أماله، حناه.
- عَطَفَ الوسادة: ثناها.
- عَطَفَهُ عن الأمر: أبعدَه وصرفه عنه.
- عَطَفَ اللَّفْظَ على سابقه: (النحو والصرف) أتبعه إيَّاه بواسطة حرف العطف.
- عَطَفَ إلى جاره: مال إليه وتوجَّه، تحوَّل ناحيته.
- عَطَفَ على المسكين: أشفق وحنا عليه، عامله برفق ولين ورقة.
- عَطَفَ اللهُ قَلْبَهُ وَبِقَلْبِهِ: جَعَلَهُ رَحِيمًا، عَطُوفًا.
- عَطَفَ فلانٌ عن كذا: رَجَعَ وانصرف (٢).

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ). مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٤ ص ٣٥١، بتصرف.

(٢) للوقوف على تفصيلات المعنى اللغوي لمادة: (عَطَفَ) ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (ت: ٦٦٦هـ)، "مختار الصحاح"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢١٢. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، "المعجم الوسيط"، دار الدعوة، ج ٢ ص ٦٠٨.

ثانياً: معنى العطف اصطلاحاً:

"وأما العطف في الاصطلاح فهو قسمان: الأول: عطف البيان، والثاني: عطف النسق. فعطف البيان هو "التابع الجامد الموضح لمتبوعه في المعارف المخصص له في النكرات"^(١) فمثال عطف البيان في المعارف: (جاءني محمد أبوك)، فأبوك: عطف بيان على محمد، وكلاهما معرفة، والثاني في المثال موضح للأول، ومثاله في النكرات قوله تعالى: ﴿مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١٦)، ف: ﴿صَدِيدٍ﴾ عطف بيان على: ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾، وكلاهما نكرة، والثاني في المثال مخصص للأول.

وأما عطف النسق^(٢) فهو: "التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة، وهي: (الواو، الفاء، ثمَّ، أو، أم، إمَّا، بل، لا، لكن، حتى في بعض المواضع)"^(٣). أما سبب تسمية هذا النوع من العطف بالنسق؛ لأن الشيء إذا عطفته على شيء صار نظاماً^(٤). وهذا القسم هو الذي يعيننا في هذه الدراسة.

المطلب الثاني: دلالات (أو):

ليس من المبالغ إذا قلنا إن (أو) تعدُّ أكثر حروف المعاني في اللغة العربية دلالة على معانٍ متغايرة سواء في استعمالات اللغة أو القرآن.

- (١) العاصمي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الخنبلي النجدي (ت: ١٣٩٢هـ)، "حاشية الأجرومية"، ج ١ ص ٨٠.
- (٢) النسق في اللغة: التابع، يقال: نسقت الشيء نسقاً إذا أتيت به متتابعاً. قال ابن منظور: "النسق بالتسكين مصدر من نسقت الكلام إذا عطفته بعضه على بعض". يُنظَر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: ٧١١هـ)، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ج ١٠ ص ٣٥٣. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، (ت: ٧٦١هـ)، "شرح قطر الندى وبل الصدى"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة، ط ١١، ١٣٨٣هـ، ص ٣٠١.
- قال ابن يعيش: "وقيل: له نسق، لمساواته الأول في الإعراب. ينظر: الجرجاوي، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهرى، (ت: ٩٠٥)، "شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو"، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ج ٢ ص ١٥٣.
- (٣) عبد الحميد، محمد محيي الدين، (ت: ١٣٩٢هـ)، "التحفة السننية بشرح المقدمة الأجرومية"، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ١٤٢٨هـ، ص ١٢٥.
- (٤) الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهرى، (ت: ٣٧٠هـ)، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٨ ص ٣١٣.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبد الكريم شهوان
وإنَّ ضخامة ما كتبه علماء اللغة والنحو قديماً وحديثاً في معاني الحروف يُبرز أهمية هذا العلم،
ومدى الحاجة إليه في فهم المراد وتوجيه النصوص.

وقد بين جمع من العلماء دلالات (أو) في اللغة والقرآن الكريم، واستشهدوا لذلك من القرآن
الكريم وشعر العرب ونثرهم، ويمكن إجمال معاني حرف العطف (أو) فيما يأتي^(١):
أولاً: الشك: ويقصد به: الحيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾
(الكهف: ١٩).

قال ابن كثير: "لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار،
ولهذا استدركوا فقالوا كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا
لَيْتُنْتُمْ﴾ ، أي: الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم فالله أعلم، ثم عدلوا إلى
الأهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب"^(٢).
ثانياً: الإبهام: ويقصد به: الغموض من جهة السامع، وهو بخلاف الشك؛ لأن الشك
غموض من قبل المتكلم^(٣).

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤).
قال الطبري: "قد علم أنه على هدى وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب
فلم يقل: إنا على هدى وأنتم على ضلال، فكذلك قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ (البقرة: ١٤٣).
معناه عندهم: إلا لتعلموا أنتم إذ كنتم جهالاً به قبل أن يكون، فأضاف العلم إلى نفسه رفقاً
بخطابهم"^(٤).

(١) تنبيهات:

١. العلماء بين مُكثِرٍ ومُثَقِّلٍ لمعاني (أو).
٢. بعض استعمالات (أو) يحتل أكثر من دلالة أو يمكن أن يُحْسَبَ على دلالة دون أخرى، فالأمر يبقى
اجتهادياً بين العلماء.
٣. اقتصرَت الدراسة على ذِكْرِ أبرز الدلالات.
- (٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، "تفسير القرآن العظيم"، تخريج وتحقيق: مازن عبدالرحمن
البحصلي البيروتي، دار الدليل الأثرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ج ٥ ص ١٤٥.
- (٣) المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي، (ت: ٧٤٩هـ)، "الجنى الداني في حروف
المعاني"، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ -
١٩٩٢م، ص ٢٢٨.
- (٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ)، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"؛ المعروف: تفسير =

ثالثاً: التخيير: ويقصد به: الانتقاء والانتخاب، أي: فوض للسامع الخيار^(١).
ومثاله قوله تعالى: ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المائدة: ٨٩).

قال الطبري: "والمكفّر مخير في تكفير يمينه التي حنث فيها بإحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه، وذلك: إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة بإجماع من الجميع لا خلاف بينهم في ذلك"^(٢).

رابعاً: الإباحة: ويقصد بها: ضد المحذور، فيقال: أباحه الشيء، أي: أحله له.
ومنه قول: جالس الحسن أو ابن سيرين، أي: أذنت لك مجالسة هذا الضرب من الناس^(٣).
ومثاله قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء: ٣).

خامساً: التفصيل وتنويع المقال: ويقصد به: التبيين.
ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٣٥).
فالقائل الأول: هم: يهود المدينة.

والثاني هم: نصارى نجران، وجاء القرآن ب: ﴿أَوْ﴾ للتفصيل وتنويع المقال.
وقد نفى المفسرون أن تكون ﴿أَوْ﴾ هنا للتخيير، ذكر ذلك الألويسي فقال: "و: ﴿أَوْ﴾

= الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ج ٣ ص ١٦٢.
(١) فائدة: إذا اتصل التخيير بالأمر لم يجمع بينهما، كما في قول: خذ درهماً أو ديناراً، فإن وجدت قرينة تدل على الإباحة جاز الجمع بينهما، كما في قول: جالس الفقهاء أو الزهاد لمن يجالس الأشرار. ينظر: العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، (ت: ٦١٦هـ)، "اللباب في علل البناء والإعراب"، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج ١ ص ٢٢٣.
(٢) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ج ١٠ ص ٥٥٥.
(٣) ابن السراج، محمد بن السري بن سهل النحوي، (ت: ٣١٦هـ)، "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ج ٢ ص ٥٦.
(٤) وقد تفيد هنا التخيير أو الإباحة: ينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق (ت: ١٤٠٤هـ)، "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ج ١ ص ٦٥٤.
قلت: وإن كان حمل الآية على التخيير هنا أكد للمعنى والسياق. قال ابن عاشور: "خَيْرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَاحِدَةِ باعتبار التعدد، أي: فواحدة من الأزواج أو عدد مما ملكت أيمانكم، وذلك أن المملوكات لا يشترط فيهن من العدل ما يشترط في الأزواج، ولكن يشترط حسن المعاملة وترك الضرر". ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير"، (ت: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ج ٤ ص ٢٢٢.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبدالكريم شهوان

لتنويع المقال لا للتخيير بدليل أن كل واحد من الفريقين يكفر الآخر، أي: قال اليهود للمؤمنين: كُونُوا هُودًا. وقالت النصارى لهم: كُونُوا نَصَارَى^(١).

سادساً: أن تكون بمعنى: (ولا):

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ عَائِثًا أَوْ كَفُورًا﴾.

قال الفراء: "﴿أَوْ﴾ ههنا بمنزلة: (لا). و: (أو) في الجحد، والاستفهام، والجزاء، تكون في

معنى: (لا)"^(٢).

سابعاً: التقريب: ويقصد به: المقاربة.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (النحل: ٧٧).

قال الزمخشري: "أي: هو عند الله وإن تراخى، كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه: هو كلمح البصر أو هو أقرب، إذا بالغتم في استقربه"^(٣).

ثامناً: أن تكون بمعنى الواو: ومثاله قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ﴾

(العلق: ١١-١٢).

والمعنى: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ وَأَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ^(٤).

(١) الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي، (ت: ١٢٧٠هـ)، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م، ج ١ ص ٣٩١.

(٢) الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدليمي، (ت: ٢٠٧هـ)، "معاني القرآن" تحقيق: (أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشليبي)، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١، ج ٣ ص ٢١٩.

(٣) الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: ٥٣٨هـ)، "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، ط ٢، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج ٢ ص ٦٢٣.

(٤) عضيمة، محمد عبد الخالق، "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، ج ١ ص ٦٥٦.
قلت: لعل من البحوث المفيدة حول (أو) واستعمالاتها ودلالاتها بحث أعدّه: د. حيدر فخري ميزان، بعنوان: "دلالة أو العاطفة في النحو العربي"، جامعة بابل، كلية الدراسات القرآنية، ١/٦/٢٠١١م، وقد استفدت منه كثيراً في الوقوف على التقسيمات والشواهد.

المبحث الثاني: المواضع التي وردت فيها (أو) تؤكد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها

تمهيد:

قبل البدء بالحديث عن المواضع التي وردت فيها (أو) تؤكد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها يُحسُن الإشارة إلى بعض الأمور:

أولاً: وقَّعت الدراسة على مواضع في القرآن الكريم تنطبق عليها دلالة تأكيد وقوع ما قبل (أو) دون ما بعدها ضمن السياق القرآني ووقفاً اجتهادياً يفيد التمثيل لا الحصر، فأمر التدبُّر أمرٌ اجتهادي يقبل أن يُضاف عليه.

ثانياً: لا يعني أن من دلالات (أو) في القرآن الكريم تحقيق وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها أن هذا شأن القرآن الكريم في ذلك دائماً، بل هناك آيات كثيرة وردت فيها تأكيد ما قبل (أو) وما بعدها.

ثالثاً: تفرَّد القرآن الكريم بدلالة تأكيد وقوع ما قبل (أو) دون ما بعدها لا شك أنه عن قَصْدٍ، ولِحِكْمٍ عظيمة على رأسها عدم حاجة القرآن إلى الاستدراك، كما هو حال البشر، فالقرآن كلام علام الغيوب، أما البشر، فطبعهم النَّقص وقصور العقل، وسرعان ما يحتاجون إلى الاستدراك في الكلام لنسخ كلامهم السابق بقول: (أو) كذا وكذا، كأن يقول قائل: نريد الذهاب إلى المدينة المنورة أولاً، ثم يتدارك الأمر أنه يريد الذهاب إلى مكة المكرمة أولاً، فيقول فوراً: (أو) إلى مكة المكرمة، فهذا الاستدراك يدلُّ على قصور العقل البشري، ووقوع السهو والخطأ منه، ويستحيل أن يكون ذلك في القرآن الكريم.

رابعاً: إذا كان تحقق ما بعد (أو) دون ما قبلها يفيد الاستدراك وتصويب القول، وهو صفة نقص، فإن القاعدة القرآنية أن من دلالات (أو) تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها يُظهِرُ حكماً عظيمة سبَّبَتِها الدراسة في مواضعها؛ لكن يمكن القول على وجه العموم إن أعمال هذه القاعدة العظيمة يفيد تأكيد وقوع المخبر به قبل (أو) تأكيداً مُطلقاً لا يقبل الشك أو الضعف.

خامساً: تكرر هذا الأسلوب الدلالي ل: (أو) في القرآن الكريم يدلُّ على تأكيد حقيقة أن الله تعالى علام الغيوب، ليتضافر أسلوب القرآن الكريم البياني مع عبارته في إحقاق هذه الحقيقة: (الله علام الغيوب)، فهو سبحانه يُقدِّم ذِكر ما يتحقَّق وقوعه على ما لا يقع.

المطلب الأول: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾:

قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ (البقرة: ١٠٦).

المعنى الإجمالي للآية:

تكاد تجتمع كلمة المفسرين على أن المقصود بالنسخ هو: "إزالة شيءٍ بشيءٍ آخر عوضاً عنه" (٢)، يقال: نَسَخَتِ الشمسُ الظِّلَّ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ. والآية تطلق على المعجزة، وتطلق على القطعة من القرآن المشتملة على حُكْمٍ شرعي أو موعظة أو نحو ذلك، وهو إطلاق قرآني، والمعنى الأخير هو الذي يجري عليه السياق هنا، سواءً أُزيل لفظ الآية أم بقي؛ لأن المقصود هو إبطال الأحكام لا إزالة الألفاظ (٣).

وبنى المفسرون فهمهم لقوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِئَهَا﴾ على وجه قراءتهم لها (٤)، فمن قرأها: ﴿نُنسِئَهَا﴾ من التأخير، أي: نؤخرها في أم الكتاب: (اللوح المحفوظ)، فلا يكون، وقيل: نُذهِبَهَا عنكم حتى لا تُقرأ ولا تُذكر. ومن قرأها: ﴿نُنسِئَهَا﴾ من النسيان الذي هو بمعنى التَّرك، أي: نتركها فلا نُبدِّلها ولا ننسخها (٥).

والذي يعيننا في قوله تعالى: ﴿نَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، هو "إجمال القرآن الكريم جهة الخيرية والمثلية لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فتجده

(١) ورد أن الآية نزلت لما قال اليهود: ألا ترون أن محمداً صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، ما هذا القرآن إلا كلام محمد عليه السلام يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يُناقضُ بعضه بعضاً. ينظر: البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت: ٦٩١هـ)، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ج ١ ص ٩٩. الألويسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ج ١ ص ٤٧٧. (٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، "تفسير الراغب الأصفهاني"، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج ١ ص ٢٨٣.

(٣) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج ١ ص ٦٣٨.

(٤) قرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿نُنسِئَهَا﴾، وقرأ الباقون: ﴿نُنسِئَهَا﴾. ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (ت: ٨٣٣هـ)، "النشر في القراءات العشر"، تحقيق: علي محمد الضباع، (ت: ١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، ج ٢ ص ٢٢٠.

(٥) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت: ٦٧١هـ)، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: (سالم مصطفى البدري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١، ج ٢ ص ٤٧.

مراداً، إذ الخيرية تكون من حيث الاشتمال على ما يناسب مصلحة الناس، أو ما يدفع عنهم مضرة، أو ما فيه جلب عواقب حميدة، أو ما فيه ثواب جزيل، أو ما فيه رفق بالملكفين ورحمة بهم في مواضع الشدة وإن كان حملهم على الشدة قد يكون أكثر مصلحة"^(١).

تأكيد وقوع ما قبل (أو) وعدم وقوع ما بعدها في الآية السابقة:

جمهور الأصوليين والفقهاء والمفسرين على وقوع النَّسخ، وقد نقل الجويني الإجماع على وقوعه فقال: "اعلم ما صار إليه كافة المسلمين جواز النَّسخ"^(٢)، وذلك بعيداً عن بعض الخلافات الواقعة في قضايا تفصيلية متفرعة منه؛ لكن هل موقف المفسرين في قوع الإنساء أو النَّسء نفسه كما في النَّسخ؟

إن المتتبع لأقوال المفسرين في معنى: ﴿نَسَّأَهَا﴾ أو: ﴿نَسَّيَهَا﴾ يرى أن بعضهم تجاوز الحديث عنها ربما كي لا ينجرف وراء أبعادٍ يقتضيها اللفظ المجرد ولا يقتضيها المعنى المرتبط بالسياق أو الحكم، كما فعل ذلك سيد قطب^(٣)، ومنهم من اكتفى بالمرور على المعنى سريعاً دون الوقوف على التفصيلات، كما فعل الألوسي^(٤) وغيره، ومنهم من حمل المعنى تكلفاً على محمل غير محمود مستنداً لذلك بروايات غير صحيحة من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الوحي بالليل وينسأه بالنهار، كما سيأتي تفصيله في الحكم على تلك الروايات، ومنهم من يرى أن النَّسخ والإنساء بمُحَصَّلَةٍ واحدة، هي التبدل، قال محمد رشيد رضا ردّاً على من زعم ذلك: "فما الفائدة في عطفه عليه بأو؟ وهل هو إلا تكرار يجلُّ كلام الله عنه"^(٥).

وعلى المعنيين للإنساء والنَّسء، وبعد تتبُّع أقوال عموم المفسرين لهما يتبين أن ما ذكره من معانٍ تُبقي في النفس تساؤلات، أو تصطدم مع مُسَلِّمات، ولا شكَّ عندي أن الإشكال ليس في فهم السلف والخلف للآية، وإنما هو في إحكام الحكم بوقوع الإنساء أو النَّسء في القرآن الكريم،

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج ١ ص ٦٤١.

(٢) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، (ت: ٤٧٨هـ)، "التلخيص في أصول الفقه"، تحقيق:

عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ج ٢ ص ٤٦٧.

(٣) قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، (ت: ١٣٨٦)، "في ظلال القرآن"، دار الشروق - القاهرة،

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ط ٣٤)، ج ١ ص ١٠٢.

(٤) الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ج ١ ص ٣٥٠.

(٥) رضا، محمد رشيد، "تفسير القرآن العظيم"؛ المعروف ب: "تفسير المنار"، ط ١، دار إحياء التراث العربي،

بيروت، ٢٠٠٢م، ج ١ ص ٣٥٩.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبد الكريم شهوان

وهذا ما أوقع الزمخشري ومن تبعه في تنزيل المعنى اللغوي على الواقع العملي؛ لذلك نجد الزمخشري يقول: "ونسؤها: تأخيرها وإدراجها إلى غير بدل. وإنساؤها: أن يذهب بحفظها عن القلوب.."^(١).

وحمل الآية على القاعدة القرآنية أنّ من دلالات (أو) تأكيد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها يُنهي الإشكال، ويزيل اللبس، وعلى ذلك يكون المعنى: وقوع النسخ في القرآن الكريم، وعدم وقوع الإنساء أو النسء فيه، فليس هناك آيات أبقاها الله في اللوح المحفوظ ولم يُنزلها على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هناك آيات أنساها الله نبيّه، فحذفت من ذاكرته قبل أن يتلقاها الصحابة رضي الله عنهم.

ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى آيات أراد الله تعالى له أن ينساها: ذكر الطبري روايات تُخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أنسى آيات نزلت عليه، وأنه كان ينزل عليه الوحي بالليل وينساه بالنهار، ونقل ابن كثير هذه الروايات في تفسيره عن الطبري بأسانيدها دون أن يُعلّق عليها، وهذه الروايات هي:

الرواية الأولى: (كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل، وينساه بالنهار، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾. أخرجه ابن أبي حاتم. قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف لا يحتج بمثله، وله علتان: الأولى: الحجاج هذا: هو الرقي؛ فقد ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل"، فقال: "سئل أبو زرعة عنه؟ فقال: لا أعرفه". والأخرى: محمد بن الزبير هذا، وهو إمام مسجد حران؛ قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه؟ فقال: ليس بالمتين. وسئل أبو زرعة عنه؟ فقال: في حديثه شيء". وقال ابن عدي: "منكر الحديث"^(٢).

الرواية الثانية: قال ابن جرير: حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال، حدثنا خالد بن الحارث قال، حدثنا عوف، عن الحسن أنه قال في قوله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ قال: إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرآنا، ثم نسيه فلم يكن شيئاً، ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم تقرءونه^(٣).

وبعيداً عن كون هذه الرواية انفرد بها الطبري أو من نقلها عنه كما فعل ابن كثير، فهي منكورة

(١) الزمخشري، "الكشاف"، ج ١ ص ٢٠١.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: ١٤٢٠هـ)، "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة"، دار المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ج ١١ ص ٤٥٤-٤٥٥.

(٣) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢٠٠١م، ج ١ ص ٥٤٦. وينظر أيضاً: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ج ١ ص ٢١٩.

المتن بعيداً عن اعتلال سندها الذي دلّ عليه اعتلال متنها، إذ كيف يُعقل أو يُنقل أن النبي صلى الله عليه وسلم حصل له مثل هذا الذي وُصف به.

قال محمد رشيد رضا: "ولا شك عندي في أن هذه الرواية مكذوبة، وإن مثل هذا النسيان محال على الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم معصومون في التبليغ، والآيات الكريمة ناطقة بذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

وقد قال المحدثون والأصوليون: إن من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقلياً كان أو نقلياً، كأصول الاعتقاد، وهذه المسألة منها، فإن هذا النسيان ينافي العصمة المجمع عليها^(١). خلاصة الكلام:

إن فهم الآية بناءً على أن دلالة (أو) في سياقها الذي وردت فيه هنا يؤكد حصول ما قبلها، وعدم حصول ما بعدها يزيل الإشكال، ويجعل فهمنا للآية على نحو سليم، ولو تنبّه المفسرون وأهل اللغة إلى أن من دلالات (أو) في السياق القرآني تأكيد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها لما حصل لهم هذا الاضطراب في فهم الآية، ولعدّوا حمل الآية على القاعدة القرآنية واحداً من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن.

المطلب الثاني: ﴿أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

المعنى الإجمالي للآية:

روى الطبري وابن كثير وغيرهما أنه لما انهزم من المسلمين يوم أحد، وقُتل من قُتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قُتل. ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمداً. وإنما كان قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله قد قُتل، وجوّزوا عليه ذلك، كما قد قصّ الله عن كثير من الأنبياء، عليهم السلام، فحصل وهن وضعف وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ

(١) محمد رشيد رضا، "تفسير القرآن الحكيم" المعروف بتفسير المنار، ج ١ ص ٣٦٠.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبد الكريم شهوان

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ.. ﴿١﴾.

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ أنه صلى الله عليه وسلم ليس له صفة تميّزه على الناس إلا القيام بالرسالة وأعبائها ومتطلباتها، وأن هذه الصفة تقتضي بقاءها لا بقاء المبعوث بها، وهذا شأن جميع الرُّسُل: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، وأمام هذه الحقيقة، فلا يصح أن ينقلب المؤمنون من بعده، لأن تعلُّقهم الأقوى هو بالرسالة لا بشخص الرسول، فعليهم أن يحمّلوا أعباء الدعوة؛ لذلك عُوثُوا على ما كان منهم يوم أحد^(٢): ﴿أَفَايُن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟﴾ لأن الضَّرَرَ سيقع على من انقلب على عقبيه وحده: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾.

واختتمت الآية بقوله: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، قال أبو زهرة: "وقد يقول قائل: لماذا عبّر هنا بالشاكرين ولم يُعبّر بالصابرين؟ مع أن الصبر هنا هو الأظهر إلا أن الشُّكْر في هذا المقام هو أعلى درجات الصبر، وذلك أنهم لم يتحمّلوا البلاء فقط، بل تجاوزوا حدَّ الصَّبْرِ إلى حدِّ الشُّكْرِ على هذه الشديدة، فالشُّكْر هنا صبر وزيادة، وقليل من يكون على هذه الشاكلة، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سبأ: ١٣)"^(٣).

تأكيد وقوع ما قبل (أو) وعدم وقوع ما بعدها في الآية السابقة:

الناظر إلى قوله تعالى: ﴿أَفَايُن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ يرى أن القرآن الكريم قدّم ذَكَرَ الموت على

(١) للوقوف على الروايات التي وردت في سبب نزول الآية يُنظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ج ٤ ص ١٤١-١٤٤. ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ج ١ ص ٥٦١.

(٢) فالرسالة أصل والنبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء والقيادات حملتها، وهذا مبدأ قرآني ودستور حياة، فمهما كانت القيادة عظيمة، فإن غيابها لا يوقف المسيرة أو يُبطئها، ولا يُلغي الرسالة أو يُجهدّها، وهذا ما تنبّه إليه الصِّدِّيق رضي الله عنه حينما قال كلمته المشهورة عند موت النبي صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾". رواه البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت: ٢٥٦هـ)، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، في كتاب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً"، رقم: (٣٦٦٨)، ج ٥ ص ٦.

(٣) أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، (ت: ١٣٩٤هـ)، "زهرة التفاسير"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ج ٣ ص ١٤٣٤.

القتل، وبناءً على القاعدة القرآنية التي تقضي بأن من دلالات (أو) حسب السياق القرآني الذي وردت فيه تأكيد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها، فإن الجملة القرآنية: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم سيموت موتاً ولكن يُقتل قتلاً.

ورغم أن الجو العام للآية يتحدث عن غزوة أحد، وهو جو قتال وقتل، حيث نزلت الآية لبيان الأثر الذي حصل لبعض الصحابة رضي الله عنهم عند إشاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قُتل؛ إلا أن القرآن الكريم بدأ الجملة القرآنية: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ بذكر الموت ثم عطف عليه القتل بـ: (أو)، مع أن الأليق بالسياق تقديم ذكر القتل أولاً ثم العطف عليه بالموت: (أفإن قُتِلَ أو مات)، وبالرغم من أن هذه الصياغة للجملة لا تُخلُّ بالتناغم الصوتي لقراءتها، وبالرغم من أنها الأليق بظاهر السياق لسبب النزول إلا أن القرآن الكريم قدّم ذكر الموت على القتل، وهذا التقديم راعى فيه القرآن ما هو أولى، وهو بيان حقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم سيموت موتاً ولكن يُقتل قتلاً.

ولقد تنبّه المهتمون بالبيان القرآني من المفسرين إلى تقديم القرآن الكريم للموت على القتل رغم أن الأليق بالسياق هو تقديم القتل على الموت، ومن هؤلاء المفسرين: أبو السعود، حيث قال: "تقديم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة، وعظم فيه الحنة"^(١).

وقال الألوسي: "وقدّم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو الذي كاد يجزئ الموت الأحمر"^(٢).

أسباب تقديم الموت على القتل في الآية عند المفسرين:

ذكر أبو السعود تعليلاً لتقديم الموت على القتل في الآية، وتابعه الألوسي بذكرها حرفياً،

وهما:

أولاً: لما أن الموت في شرف الوقوع فجزئ الناس عن النكوص عنده، وحملهم على التثبّت هناك أهم.

ثانياً: لأن الوصف الجامع بينه صلى الله عليه وسلم وبين الرُّسل عليهم السلام هو الخُلُو بالموت دون القتل^(٣).

ولعل حمل تقديم ذكر الموت على القتل في الآية على قاعدة أن من دلالات (أو) حسب

(١) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت: ٩٨٢هـ)، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم"، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٢ ص ٤٢.

(٢) الألوسي، "روح المعاني"، ج ٤ ص ٣٩٣.

(٣) ينظر: أبو السعود، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم"، ج ٢ ص ٤٢. الألوسي، "روح المعاني"، ج ٤ ص ٣٩٣.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبد الكريم شهوان

السياق الذي وَرَدَتْ فيه تأكيد وقوع ما قبلها، وعدم وقوع ما بعدها أولى مما ذكره أبو السعود والألوسي وأتم للمعنى؛ لأن فيه معنىً إضافياً، وهو بيان حقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم سيموت موتاً ولن يُقتل قتلاً.

وقد أشار الزمخشري في لفظة جميلة عند تفسيره للآية إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم سيموت موتاً، ولن يُقتل قتلاً فقال: "فإن قُلت: لمْ ذَكَرَ القتل وقد عَلِمَ أنه لن يُقتل؟ قلت: لكونه مجوراً عند المخاطبين. فإن قلت: أما عَلِمُوهُ من ناحية قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعَصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)؟ قلت: هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة. ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا؟" (١).

المطلب الثالث: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٧-١٥٨).

المعنى الإجمالي للآيتين:

الآيتان تتحدثان عن الجوانب النفسية لأحوال المجتمع المسلم بعد غزوة أحد، وما تبع ذلك من شماتة المنافقين بالذين قُتلوا في سبيل الله، فالآية التي سَبَقَتْ هاتين الآيتين تُمهِّدُ لهما، وترتبط بهما، وهي قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ وَيُؤَيِّتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٥٦).

فالأرواح بيد الله تعالى، يقبضها كيف شاء ومتى شاء، ويُرسِلُها كيف شاء ومتى شاء؛ لكن الحسرة تبقى في نفوس الذين عشَّش التخاذل في نفوسهم، فحاولوا الهرب من الموت الذي يطلبهم: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (الكهف: ٥٩).

وأما الذين قُتلوا في سبيل الله تعالى أو ماتوا فقد أقسم الله تعالى أن يَمْنَحَهُمْ جزاءً عظيمين هما المغفرة والرحمة، قال تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، وهما خير من عيش المنافقين والكفار، ومما يجمعون من حطام زائل، والنتيجة الحتمية للجميع هي الفناء سواء كان ذلك موتاً أم قتلاً.

تأكيد وقوع ما قبل (أو) وعدم وقوع ما بعدها في الآيتين السابقتين:

تحدَّث الآية الأولى عن جو القتال في سبيل الله: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمَّ﴾،

(١) الزمخشري، "تفسير الكشاف"، ج ١ ص ٤٥٠.

ومعلوم أن الأظهر في المعركة هو القتل وليس الموت الطبيعي أو لعارضٍ، والآية الثانية تتحدث عن الموت الطبيعي الذي هو الواقع الحياتي الاعتيادي، حيث يكون الموت فيه أظهر من القتل وأشهر، فالقرآن الكريم قدّم القتل على الموت في الآية الأولى؛ ليدلّ على تأكيد وقوع ما قبل (أو)، وقدّم الموت على القتل في الآية الثانية؛ ليدلّ أيضاً على تأكيد وقوع ما قبل (أو).

قال الخالدي: "وحكمة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى أن القتل في سبيل الله هو المناسب للجهاد في سبيل الله، والجهاد هو مظنة القتل..، وهذا المعنى غير مراد في الآية الثانية، ولذلك جاءت صياغتها وفق الأصل، وقدّم فيها الموت على القتل؛ لأنه هو السبب الأكثر لحلول الأجل وانتهاء الأعمار، فمعظم الناس يموتون موتاً طبيعياً؛ ولذلك لم يقيد القتل فيها في سبيل الله، وبقي على إطلاقه. وشتان ما بين الخاتمتين: خاتمة الشهيد، وخاتمة الميت، ولذلك قال في الآية الثانية: ﴿لِأَنَّ اللَّهَ تَجَشَّرُونَ﴾ فقط" (١).

رأي المفسرين في تقديم القتل على الموت في الآية الأولى، وتقديم الموت على القتل في الآية

الثانية:

بحث المفسرون البيانون أسباب التقديم والتأخير في الآيتين، وذكر بعضهم المعنى الذي تمثله قاعدة أن من دلالات (أو) تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها نفسه؛ لكن دون إنزالها على النصّ القرآني كونها قاعدة، ومنهم من تكلم عن أسباب أخرى بعيداً عن هذه القاعدة. ومن هؤلاء المفسرين: محمد رشيد رضا، إذ قال: "أقول: وهذا هو المقصود هنا أولاً وبالذات؛ لأن السياق في الحرب، ولذلك قدّم ذكر القتل على الموت، فإن القتل الذي يقع كثيراً في الحرب، والموت يكون فيها أقل، فذكره تبعاً بخلاف الآية الثانية" (٢).

وقال ابن عاشور: "وقدّم القتل في الأولى والموت في الثانية اعتباراً بعطف ما يظن أنه أبعد عن الحكم، فإن كون القتل في سبيل الله سبباً للمغفرة أمر قريب، ولكن كون الموت في غير السبيل مثل ذلك أمر خفي مستبعد، وكذلك تقديم الموت في الثانية؛ لأن القتل في سبيل الله قد يظن أنه بعيد عن أن يعقبه الحشر، مع ما فيه من التفنن، ومن رد العجز على الصدر وجعل القتل مبدأ الكلام وعوده" (٣).

(١) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، "إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني"، دار عمار، عمان - الأردن، ط ١، ص ٢٦٩، بتصرف.

(٢) محمد رشيد رضا، "تفسير القرآن الحكيم" ج ٤ ص ١٦٦.

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج ٣ ص ٢٦٤-٢٦٥.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبد الكريم شهوان

وقال أبو زهرة: "قدم: ﴿فُقِلْتُمْ﴾ في هذا المقام لأنه المناسب؛ لأن الكلام الكريم في أعقاب مقتلة أصابت المسلمين وأصاحبهم هم بسببها فناسب تقديم: ﴿فُقِلْتُمْ﴾ على: ﴿مُتُّمٌ﴾، وإن الخطاب هنا للمؤمنين الذين جاهدوا، وهو مبين لجزائهم. وقال سبحانه: ﴿وَلَيْنَ مُتُّمٌ أَوْ قَاتِلْتُمْ لِأَلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، الخطاب الأول للتبشير بالنسبة للمجاهدين كما أشرنا والخطاب هنا يعم المجاهدين وغيرهم، ولذا قدم فيه: ﴿مُتُّمٌ﴾ على: ﴿فُقِلْتُمْ﴾" (١).

وقال الشعراوي: "والغالب في شأنهم أن من يلقي الله منهم ويفضي إلى ربه يكون بسبب القتل أكثر مما يكون بسبب الموت حتف أنفه، أما هذه الآية فقد جاءت لبيان أن مصير جميع العباد ومرجعهم يوم القيامة يكون إلى الله تعالى، وأن أكثرهم تزهق نفسه وتخرج روحه من بدنه بسبب الموت، فلذا قدّم الموت هنا على القتل" (٢).

المطلب الرابع: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا

أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ لَأُ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ﴾ (الأعراف: ٨٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْدِيَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: ١٣).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: ٢٠).

المعنى الإجمالي للآيات:

تحدثت الآية الأولى عن توعّد المستكبرين من قوم شعيب عليه السلام له ولن آمن معه، فإما أن يُخْرِجُوهم من قريتهم، أو يرجعوا عن إسلامهم، فكان الجواب منه عليه السلام الرفض، ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ﴾، أي: كيف نعود فيها ونحن كارهون لها، على أن الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه، لا لإنكار الواقع واستقباحه.

وتُسجّل الآية الثانية المشهد نفسه، والموقف ذاته، وتبيّن أن شأن الكافرين بالله تعالى

(١) أبو زهرة، "زهرة التفاسير"، ج ٣ ص ١٤٧٢-١٤٧٣.

(٢) الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، ج ٣ ص ١٨٣٥.

المكذِّبين للأنبياء هذا هو موقفهم مع أنبيائهم ومن آمنوا معهم، إما إخراجهم وطردهم، وإما أن يرجعوا إلى الكفر، ولا يعلمون أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنه تعالى هو من يتوعَّدهم بالهلاك. وأظهرت الآية الثالثة خيارين اثنين أمام الفتية الهاربين بدينهم على خوف من قومهم فيما لو تمكَّنوا منهم، فإما أن يرموهم أو يعيدوهم إلى الكفر.

تأكيد وقوع ما قبل (أو) وعدم وقوع ما بعدها في الآيات السابقة:

لقد وُضِعَ المؤمنون أمام خيارين اثنين، فالآيتان الأولى والثانية كان الخياران فيهما الإخراج والنفي أو الرجوع إلى ملة الكفر، والآية الثالثة كان الاحتمالان فيها الرجم حتى الموت أو الرجوع إلى ملة الكفر.

وكون الأنبياء عليهم السلام هم رُسل الله تعالى وأصفياءه من خلقه، وقد اختارهم الله تعالى لتبليغ الرسالة، فإن رجوعهم عن دعوتهم، وتلبُّسهم بالكفر أمر مُستَبَعِدٌ لا وجود له في قائمة الاحتمالات، فالله تعالى هو من اختارهم.

وإن ما أجاب به شعيب عليه السلام المستكبرين من قومه لِيَدُلُّ دلالة واضحة على أن ما بعد (أو) غير متحقِّق، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ (الأعراف: ٨٩)، والمتدبِّر للآية يرى جلياً أن أسلوب الإجابة يدل على رفض شعيب عليه السلام والمؤمنين خيار الرجوع عن دينهم.

ف: ﴿ قَدْ ﴾ تفيد التحقيق والتأكيد، والفعل الماضي: ﴿ أَفْرَيْنَا ﴾، يفيد تحقق حصول الافتراء على الله في حال ارتدوا عن الإسلام، و: ﴿ كَذِبًا ﴾، تعبير يدل على شناعة الفعل، و: ﴿ إِنَّ ﴾ تفيد التمريض والتشكيك في حصول ارتدادهم عن الإسلام، و: ﴿ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنْهَا ﴾، يفيد أن المؤمنين ناجون مُكْرَمون، والكافرين غارقون هالكون.

إذاً فرجوع شعيب عليه السلام ومن آمن معه عن دينهم خيار مرفوض البتة، فلا يبقى أمام المستكبرين من قومه إلا خيار إخراجهم من قريتهم.

وإعمالاً لقاعدة أن من دلالات (أو) تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها حسب السياق الذي وردت فيه، فإن الأنبياء عليهم السلام ثابتون على دعوتهم، ماضون في طريقهم، راسخون في توحيدهم لله تعالى، ولكن يرتدوا عن الإسلام، وإذا كان أحد الخيارين المِوَعَّدِ بهما سيمضي على الأنبياء عليهم السلام فهو الإخراج والإبعاد، أما الارتداد عن الإسلام فهيهات هيهات أن يحصل لهم ذلك، وهذه حِكْمَةٌ دَلَّتْ عليها قاعدة (أو) لا يُسْتَهان بها في جمال المعنى.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبد الكريم شهوان

والقرآن والسنة فيهما من الشواهد على إخراج الأنبياء عليهم السلام من أرضهم ما يدل على ثباتهم على دعوتهم، وسعيهم في إيجاد أرض يتمكنون فيها من إظهار دعوتهم على الدين كله. وبالنسبة للفتية - أصحاب الكهف - فإن إعمال قاعدة (أو) في حَقِّهِمْ لِيَدُلُّ أَيْضاً عَلَى تَثْبِيْتِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ، فَتَقْدِيمُ ذِكْرِ الرَّجْمِ فِي السِّيَاقِ حَسْبِ الْقَاعِدَةِ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّهُمْ سَيَخْتَارُونَ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْمَوْتِ وَهُوَ الرَّجْمُ عَلَى أَن يَرْتَدُّوا عَنِ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ، وَهَذَا مَا أَكَّدُوهُ بِقَوْلِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ: ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا وَإِذَا أَبَدًا﴾، أَي: فِي حَالِ عُدْتُمْ فِي مِلَّةِ الْكُفْرِ. وَبِإِعْمَالِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّ مِنْ دَلَالَاتِ (أَوْ) حَسْبِ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ تَأْكِيدَ وَقُوعِ مَا قَبْلَهَا وَعَدَمَ وَقُوعِ مَا بَعْدَهَا يَظْهَرُ لَنَا هَذَا الْمَعْنَى الْجَمِيلَ، الَّذِي يَدُلُّ عَلَى ثَبَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى مَبَادِئِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي ذَلِكَ دَعْوَةَ لَوْرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَبَنَّوْا ذَاتَ الْمَوْقِفِ، وَأَنْ يَتَأَسَّوْا بِالْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ، فَالَّذِينَ أَعْلَى وَأَعْلَى..

المطلب الخامس: ﴿أَبْلَغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقْبًا﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ (١) لِفَتْنِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقْبًا﴾ (الكهف: ٦٠).

المعنى الإجمالي للآية:

روى البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به، قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكنتل، فحيثما فقدت الحوت فهو..". (٢).

فموسى عليه السلام عزم أن يلتقي بالخضر رغبة منه في لقائه والتعلم منه، فشد رحال رحلته بصحبة فتاه إذ أخبره الله تعالى أنه سيلقاه.

(١) قال القرطبي: "جمهور المفسرين على أن الآية تتحدث عن نبي الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام". القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ج ١١ ص ٩. وقال أبو زهرة: "هو موسى بن عمران المذكور في القرآن؛ لأنه لم يذكر علم اسمه موسى سوى هذا الرسول الكريم، ومن يقول إنه موسى غيره، فهي دعوى بلا دليل ولا مصدر لها إلا من يشكك في القرآن بخلق أشياء لا أصل لها حول عباراته، إبعاداً لمعانيه عن المراد منها". ينظر: "زهرة التفاسير"، أبو زهرة، ج ٩ ص ٤٥٥٥.

(٢) للرجوع إلى الحديث بتمامه يُنظر: "صحيح البخاري"، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ (٢) لِفَتْنِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقْبًا﴾، رقم: ٤٧٢٥، ج ٦، ص ٨٨.

بعض أقوال العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾:

ذكر المفسرون عدّة معانٍ للحقّب، أشهرها ما يلي:

أولاً: الزمن الطويل دون تحديد المدة. قال البيضاوي: "﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾: أو أسير زماناً طويلاً، والمعنى: حتى يقع إما بلوغ الجمع أو مضي الحقب أو حتى أبلغ إلا أن أمضي زماناً أتيقن معه فوات الجمع"^(١).

الثاني: الحُقْبَة: ثمانون عاماً. قال ابن فارس: "الحَاءُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وهو يَدُلُّ على الحَبْسِ. يقال: حَقَبَ العامُ، إِذَا احْتَبَسَ مَطْرُهُ. وَحَقَبَ البَعِيرُ، إِذَا احْتَبَسَ بَوْلُهُ.. فَأَمَّا الزَّمَانُ فهو حِقْبَةٌ، والجمعُ حِقَبٌ. والحُقْبُ ثَمَانُونَ عَامًا، والجمعُ أَحْقَابٌ، وذلك لما يجتمع فيه من السنين والشهور"^(٢).

الثالث: سبعون عاماً. قال الشعراوي: "الحُقْبُ: جمع حِقْبَة، وهي الفترة الطويلة من الزمن، وقد قدروها بحوالي سبعين أو ثمانين سنة، فإذا كان أقل الجمع ثلاثة، فمعنى ذلك أن يسير موسى عليه السلام مائتين وعشرة سنين، على اعتبار أن الحُقْبَة سبعون سنة. ويكون المعنى: لا أترك السير إلى هذا المكان ولو سِرْتُ مائتين وعشرة سنين"^(٣).

وقد نقل بعض المفسرين أقوالاً أخرى في مدة الحقبه تبعد عن قول أهل اللغة والأكثرية من المفسرين، لا داعي لعدّها هنا؛ لذلك اقتصر على ذكر أشهر الأقوال.

تأكيد وقوع ما قبل (أو) وعدم وقوع ما بعدها في الآية السابقة:

إن سياق الأحداث وما ورد في قصة موسى عليه السلام يدلُّ دلالة واضحة على أن موسى عليه السلام سيلتقي بالخضر في المكان الذي بين الله تعالى له أنه سيلقاه فيه، وهو: ﴿مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾ وبما أن الله تعالى أخبر موسى عليه السلام أنه سيجده حيث وصّف له، فلا سبيل لأي احتمال بأن ذلك اللقاء لن يتحقق.

إذاً فما قبل ﴿أَوْ﴾ في الآية مُتَحَقِّقُ الوقوع وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾، وهذا ما حصل له بالفعل، وما بعدها غير مُتَحَقِّقِ الوقوع، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾.

(١) البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، ج ٣ ص ٢٨٦.

(٢) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ج ٢ ص ٨٩، بتصرف.

(٣) الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، ج ١٤ ص ٨٩٥٠.

دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبدالكريم شهوان

قال ابن عاشور: "وعطف ﴿أَوْ أَمْضَى﴾ على: ﴿أَبْلَغَ﴾ ب: ﴿أَوْ﴾، فصار المعطوف إحدى غايتين للإقلاع عن السير، أي: إما أن أبلغ المكان أو أمضي زمناً طويلاً. ولما كان موسى لا يخامره الشك في وجود مكان هو مجمع للبحرين والفاء طلبته عنده؛ لأنه علم ذلك بوحى من الله تعالى" (١).

ثم يُتابع ابن عاشور كلامه في بيان الحكمة من ورود قوله تعالى: ﴿أَمْضَى حُقُبًا﴾ بعد: ﴿أَوْ﴾ فقال: "فتعين أن يكون المقصود بحرف التردد تأكيد مضيه زمناً يتحقق فيه الوصول إلى مجمع البحرين. فالمعنى: لا أبحر حتى أبلغ مجمع البحرين بسير قريب أو أسير أزماناً طويلة فإني بالغ مجمع البحرين لا محالة، وكأنه أراد بهذا تأسيس فتاه من محاولة رجوعهما، كما دل عليه قوله بعد: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (الكهف: ٦٢). أو أراد شحذ عزيمة فتاه ليساويه في صحة العزم حتى يكونا على عزم متحد" (٢).

وبهذا يتأكد أن ما بعد (أو) غير مُتَحَقِّقِ الوقوع، وأنه غير مقصود لذاته، وإنما هو لإعطاء معنى آخر يُظهِر عزيمة موسى عليه السلام في الوصول إلى هدفه، وفي هذا الإخبار من اللطائف ما ينهض بالهيم في نيل المبتغى وتحمل الصعاب.

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج ١٥ ص ٣٦٥.

(٢) المرجع السابق، ج ١٥ ص ٣٦٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، لا عِصمة إلا لكتابه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أنزل عليه القرآن، فكان خير من قرأه وفهمه وعمل به ودعا إليه، وعلى آله وصحبه ومن أتبع هديه إلى يوم الدين وبعد:

فقد يسر الله تعالى إتمام هذا البحث المعنون بـ: "دلالة (أو) العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني".
ويُعَدُّ هذا البحث واحداً من فروع التفسير اللغوي المتعلقة بلغة القرآن الكريم وبيانه المعجز، الذي يُشعُّ نوره في كل حرف من حروف نظمه، فينير طريق السالكين للرشاد، ويحرِّق المتخبطين في سُبُل التشكيك والتكبر والإلحاد.

ويمكن إجمال أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يأتي:

- مجيء هذا الأسلوب البلاغي لتأكيد وقوع المخبر به قبل (أو).
- التأكيد على أن القرآن الكريم هو الحكم على اللغة وليس المختكم إليها.
- الوقوف على حكم عظيمة في استخدام القرآن الكريم لحرف العطف (أو) ضمن السياق الذي وردت فيه.
- إظهار إجماع القرآن الكريم في تنوع أساليبه البيانية، وأنه لا تنقضي عجائبه، مما يُجدد الدعوة دائماً للعلماء والباحثين في استخراج مظاهر إعجازه المستمرة في شتى الميادين.

التوصيات:

- دراسة إمكان تنزيل دلالة (أو) في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها في كلام العرب شعراً ونثراً تنزيلاً مقصوداً وليس عفويًا، مع إظهار الحكم المترتبة عليه.
- قيام مشروع دراسة كلية على شكل رسائل جامعية لمجموعة من طلاب الدراسات العليا في استخراج منهج القرآن الكريم في استعماله لحروف المعاني بشكل عام، وتسجيل أبرز ما تفرَّد به القرآن الكريم.

المراجع

- الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: ١٤٢٠هـ)، "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة"، دار المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي، (ت: ١٢٧٠هـ)، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب، (ت: ٥٠٢هـ)، "تفسير الراغب الأصفهاني"، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت: ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت: ٦٩١هـ)، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- الجرجاوي، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهرى، (ت: ٩٠٥هـ)، "شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو"، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، (ت: ٤٧٨هـ)، "التلخيص في أصول الفقه"، تحقيق: عبد الله جولمالبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- الخالدي، صلاح عبدالفتاح، "إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدرة الرباني"، دار عمار، عمان - الأردن، ط ١.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (ت: ٦٦٦هـ)، "مختار الصحاح"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- رضا، محمد رشيد، "تفسير القرآن العظيم"، المعروف بـ: "تفسير القرآن الحكيم" المعروف بتفسير المنار، ١٢م، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، (ت: ١٣٩٤هـ)، "زهرة التفاسير"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

- الزحشري. أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: ٥٣٨هـ)، "الكشاف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، ط ٢، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن السراج، محمد بن السري بن سهل النحوي، (ت: ٣١٦هـ)، "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد
الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت: ٩٨٢هـ)، "إرشاد العقل السليم إلى
مزايا الكتاب الحكيم"، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ)، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ضبط وتعليق:
محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحوير والتنوير"، (ت: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.
عبدالحמיד، محمد محيي الدين، "التحفة السنوية بشرح المقدمة الآجرومية"، الناشر: وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية - قطر، ١٤٢٨هـ.
- عضيمة، محمد عبد الخالق (ت: ١٤٠٤هـ)، "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" تصدير: محمود محمد
شاكر، دار الحديث، القاهرة.
- العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، (ت: ٦١٦هـ)، "اللباب في علل البناء والإعراب"،
تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، "مقاييس اللغة" تحقيق: عبد
السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، (ت: ٢٠٧هـ)، "معاني القرآن" تحقيق: (أحمد
يوسف النجاتي/محمد علي النجار/عبد الفتاح إسماعيل الشلبي)، دار المصرية للتأليف
والترجمة، مصر، ط ١.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت: ٦٧١هـ)، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق:
(سالم مصطفى البدري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١.
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (ت: ٨٣٣هـ)، "النشر في القراءات العشر"، تحقيق: علي
محمد الضباع، (ت: ١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، "تفسير القرآن العظيم"، تخریج وتحقيق: مازن
عبدالرحمن البحصلي البيروتي، دار الدليل الأثرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

- دلالة أو العاطفة في تأكيد وقوع ما قبلها وعدم وقوع ما بعدها ضمن السياق القرآني، د. علي عبدالكريم شهوان
-
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)،
"المعجم الوسيط"، دار الدعوة.
- المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي، (ت: ٧٤٩هـ)، "الجنى الداني في حروف
المعاني"، تحقيق: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١،
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: ٧١١هـ)، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، ط ٣،
١٤١٤هـ.
- ميزان، حيدر فخري، "دلالة أو العاطفة في النحو العربي"، جامعة بابل، كلية الدراسات القرآنية،
٢٠١١/١/٦م.
- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، (ت: ٣٧٠هـ)، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار
إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، (ت: ٧٦١هـ)، "شرح قطر الندى
وبل الصدى"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة، ط ١١، ١٣٨٣هـ.

Bibliography

- Abdel Hamid, Mohamed Mohieddin. (1428). "The Sunni masterpiece explaining the geranium introduction". Qatar: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.
- Abu Saud, Mohammed bin Mohammed bin Mustafa Al-EmadiHanafi. (1999), "The guide the sound mind to the merits of the Wise Book". (I). Beirut: Scientific Book House
- Abu Zahra, Mohamed Ahmed Mustafa. "Zahra interpretations". Cairo: Arab Thought House.
- Adema, Mohamed Abdel Khaliq. "Studies of the style of the Holy Quran". (Export: Mahmoud Mohamed Shaker). Cairo: Modern House .
- Al Albani, Mohamed Nasiruddin. (1412 e, 199 m), "A series of weak and fixed conversations and their bad impact in the nation". (I). Riyadh: Knowledge House
- Al-Akbari, Abdullah bin Al-Hussein bin Abdullah. (1416 AH, 1995 AD), "The pulp in building and expression defects. (Investigation: Abdul IlahNabhan), (T 1). Damascus: Dar Al-Fikr.
- Ibn Fares, Ahmed bin Fares bin Zakaria al-Qazwini al-Razi. (1399 e). "Language Standards. (Investigation: Abdel Salam Mohamed Haroun)". Beirut: Dar al-Fikr.
- Alfera', Yahya bin Ziyad bin Abdullah bin Manzoor al-Dailami. Meanings of the Quran. (Investigation: Ahmed Yousef Al-Najati / Mohammed Ali Al-Najjar / Abdul Fattah Ismail Shalabi). (I). Egypt: Egyptian House for Translation and Translation.
- Al-Harawi, Mohammed bin Ahmed bin Azhari.(2001),"Language improvement". (Investigation: Mohamed AwadMerab). (I). Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
- Al-Jerjawi, Khalid bin Abdullah bin AbiBakr bin Mohammed al-Azhari.(1421 AH, 2000 AD). Explanation of the statement to clarify or declare the content of clarification in the grammar. (I). Beirut: Scientific Book House.
- Al-Juwaini, Abdul Malik bin Abdullah bin Yusuf bin Mohammed. "Summary in the fundamentals of jurisprudence". (Investigation: Abdullah Gulmalnbali and Bashir Ahmad Al-Omari). Beirut: Dar al-Bashaer Islamic.
- Al-Muradi, Hassan bin Qasim bin Abdullah bin Ali al-Masri al-Maliki, (1413 e-1992). "Al - Jannah al - Dani in the letters of the meanings". (Investigation: FakhruddinQabawah and Mohamed NadimFadel). (I). Beirut: Scientific Book House.
- Alousi, Abu al-FadlShahabuddeen Mahmoud al-Baghdadi. (1999). "The spirit of meanings in the interpretation of the great Quran and the sevenfold". (I). Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
- Al-Qaisi, Makki bin AbiTalib. (1407 AH, 1987). "Revealing the faces of the seven readings and their arguments and arguments". (Investigation: MohiEddin Ramadan). (I). Beirut: Mission Foundation.
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed Al-Ansari, (2000). "The whole provisions of the Koran". (Inquiry: Salem Mustafa Al-Badri). (I). Beirut:

Scientific Book House

- Al-Razi, Mohammed bin AbiBakr bin Abdul QaderHanafi. (1420 AH / 1999). "Mukhtar al-Sahah". (Investigation: Yusuf Sheikh Mohammed). (I). Beirut – Sidon: Modern Library - Model House
- Al-Tabari, Abu Jaafar Mohammed bin Jarir. "The statement on the interpretation of the Quran". (Adjustment and Commentary: Mahmoud Shaker). (I). Beirut: House of Revival of Arab Heritage
- Arabic Language Complex in Cairo, (Ibrahim Mustafa / Zayat / Hamed Abdel Qader / Mohamed El Naggar). "Intermediate Dictionary". Dar Al Dawa
- Asfahani, Husaynibn Muhammad, known as Ragheb, (1420 e, 1999), "Interpretation of RaghebAsfahani". (Investigation and study: Dr. Mohamed Abdel Bassiouni). (I 1) Publisher: Faculty of Arts: Tanta University.
- Bukhari, Mohammed bin Ismail. (1422 e)," the summarized musnad collection in the correct right hand of the things of the Messenger of Allah peace be upon him and his Sunnah and days". (Investigation: Mohamed Zuhair bin Nasser Al-Nasser). (I). House of life
- Ibn al-Sarraj, Muhammad Ibn al-Sari bin Sahl al-Nahawi. "Assets in grammar". (Investigation: Abdul Hussein Al-Fattali). Beirut: Mission Foundation.
- IbnAshour, Mohamed Eltaher. "To liberate the good meaning and enlighten the new mind of the interpretation of the glorious book". Beirut: The Foundation for Arab History.
- IbnHisham, Abdullah bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah bin Yusuf. (1383 AH), "Explaining the dew diameter and the echo". (Achieving Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid). (I 11). Publisher: Cairo.
- IbnKatheer, Abu al-Fida Ismail al-Damashqi (1426 AH, 2005). "Interpretation of the Great Quran". (Graduation and realization: MazenAbdulrahman Al-Bohsali Al-Beirut). Beirut: Archaeological House of evidence.
- IbnManzoor, Mohammed bin Makram bin Ali. (1414 e). "Arab's Tong". (I). Beirut: Dar Sader.
- Mizan, HaidarFakhri. (2011). "Significance or emotion in Arabic grammar". Morocco: University of Babylon, College of Quranic Studies.
- Reza, Mohamed Rashid. (2002). "Interpretation of the Great Quran". Known as: Manar interpretation. (I). Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
- Zamakhshari. Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Khwarizmi, (2001), "The Search for the facts of the download and the eyes of gossip in the faces of interpretation". (Inquiry: Abdul Razzaq al-Mahdi). (I). Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
- Albaidawi, Abdullah bin Omar bin Mohammed Shirazi. (1418 AH, 1998), "Anwar Al tanzeel and mysteries of interpretation". (Presented by: Mohamed Abdel Rahman Al Marashli). (I). Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
- Al - Khalidi, Salah Abdel - Fattah. "The miracle of the Qur'an and the indications of its source". (I). Amman - Jordan: Dar Ammar.